م.م ميـسـم عبـد الحســـن حيـــدر

المرحلة الرابعة / فقـــه اللغـــة

maysam.abdulhasan@uomustansiriyah.edu.iq

ظاهرة الاشتقاق واثرها في اثراء اللغة

اللغة العربية لغة سامية لما فيها من خصائص سمحت لها بتبوء مكانة مرموقة بين مختلف

اللغات , هذا الذي أكسبها دقة الأسلوب و جزالة اللفظ ,وتعد من المقومات التي تؤسس الأمم ,

وهي ظاهرة إنسانية ترتبط بالمشاعر والأحاسيس ,فهي ملاذ الإنسان للتعبير عن خوالجه ومكنوناته النفسية.

فاللغة العربية تشمل في طبيعة تكوينها عناصر نموها وحيويتها ,فهناك القياس و الإبدال والقلب و النحت والتعريب والاشتقاق وغيرها .ويعتبر هذا الأخير ظاهرة لغوية سامية ,ووسيلة هامة لنمو اللغة, لاسيما من حيث الألفاظ والصيغ الدالة على المعاني الجديدة. فالاشتقاق يسهل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة، بحسب ما يحتاج إليه الإنسان، فعن طريقه يستطيع العربي استبدال المصطلحات الأجنبية بكلمات عربية فصيحة هي أحسن تعبيرا وأدق دلالة على مفهومها.

الاشتقاق لغة:

أجمعت أغلب المعاجم العربية على أن الاشتقاق مأخوذ من مادة شقق، والشق مصدره قولك شققت العود شقا، والشق :الصدع البائن وقيل غير البائن، والشق كذلك الموضع المشقوق كأنه سمي بالمصدر وجمعه شقوق وقال اللحيائي :والشق :المصدر، ويقال بيد فلان ورجله شقوق ولا شقاق إنّما الشقاق يكون داء بالدّواب ويقال :شق الفجر وانشق، إذا طلع وكأنه شق موضع طلوعه وخرج منه. ويقال :هم بشق من العيش إذا كانوا في جهد، ومنه قوله تعالى "لم يكونوا بلَغيه إلا بشق الأنفس" وأصله من الشق نصف الشيء كأنه قد ذهب بنصف أنفسهم حتى بلغوه.

يلاحظ من هذه التعريفات اللغوية أن الاشتقاق في اللغة يعني الأخذ من الأمور المادية والمعنوية، وفي الكلام هو أن يذهب اللفظ يمينا وشمالا مع وجود الأصل المنبثق منه.

أمّا الاشتقاق في الاصطلاح :

فهو اخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللّفظ كضارب من ضرب، وطريقة معرفته تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ : . ويقول "أحمد ابن فارس " في " فقه اللغة " في هذا الشأن أجمع أهل اللغة- إلا من شذّ منهم – أن للغة العرب قياسا، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض واسم الجن مشتق من الإجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبدا على السّتر، تقول العرب للدّرع :جنة، وأجنه الليل، وهذا جنين أي في بطن أمه.

أمّا الاشتقاق عند المحدثين فيعرفه " محمد المبارك " في كتابه " فقه اللغة وخصائص العربية "فيقول :الاشتقاق هو توليد الألفاظ بعضها من بعض ولا يكون ذلك إلا من بين الألفاظ التي يفترض:أن بينها أصلا واحدا ترجع إليه وتتولد منه فهو في هذه الألفاظ أشبه بالرابطة النسبية بين الناس، فلابد لصحة الاشتقاق بين لفظين أو أكثر من عناصر ثلاثة:

1- الاشتراك في عدد من الحروف وهي في اللغة العربية ثلاثة.
2- أن تكون هذه الحروف مرّتبة ترتيبا واحدا في هذه الألفاظ
3- أن يكون بين هذه الألفاظ قدر مشترك من المعنى.

أنواع الاشتقاق وآ راء العلماء فيه:

لقد عّرف الاشتقاق العديد من العلماء القدامى وأيضا المحدثين، ولم يختلفوا كثيرا في تعريفه، لكنهم اختلفوا في بيان أقسامه بعض الاختلاف، و فيما ياتي أنواع الاشتقاق.

1. الاشتقاق الصغير:

يعّد هذا النوع الأقرب والأسهل والأكثر استعمالا ، لما يتميّز به من وضوح المعنى المشتق منه أوّلا ثم لكونه يشكل أساس اللغة العربية، فابن جني في الخصائص يجعل الاشتقاق ضربين:
صغيرا وكبيرا، ويعني بالاشتقاق الصغير :ذلك الذي ينحصر في مادة واحدة تحتفظ بترتيب حروفها, وذلك كترتيب(س ل م) فإنّك تأخذ منه معنى في تصرفه نحو :سلم، وسليم، وسالم وسلمان وسلمى والسلامة . وعرفه السيوطي بانه : أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلف حروفا أو هيئة.

2. الاشتقاق الكبير:

هو انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف المغيرة أو في صفاتها أو فيهما معا , وذلك مثل المادة (ق و ل) منها (و ل ق) (و ق ل)، (ل ق و) وتقاليبها الستة.
وابن جني في كتابه (الخصائص) يسمي الاشتقاق الكبير بالاشتقاق الأكبر فيقول : واما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحد، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرّف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه...نحو(ك ل م)،(ك م ل)،(م ك ل)،(م ل ك)،(ل ك م) ،(ل م ك)
نستنتج من خلال هذه التعاريف ان هذا النوع من الاشتقاق هو مصدر ثراء اللغة العربية وصدق من قال" :المعاني كثيرة و الألفاظ قليلة ,فتقاليب الكلمة لا تبعد بعضها عن بعض في المعنى الجامع مما يعني أن تقاليب الكلمة تمنح لكل مفردة معنى فرعيا لتلتقي في الأخير مع المعنى الذي يجمعها مع المفردات الأخرى من تقاليبها.

3. الاشتقاق الأكبر أو الكبار:

هو انتزع كلمة من كلمة أخرى بتغيير في ترتيب بعض أحرفهما بتقديم بعضهما على بعض مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف :ويكون هذا النوع في المادة الواحدة مثل :جذب وجبذ ويسمى هذا الاشتقاق قلبا لغويا وهو إبدال بعض أحرف العلّة من بعض.
ففي هذا النوع من الاشتقاق قد يكون الأصل واحدا و حدث فيه تطور صوتي لاقتراب المخارج كما في " جثا " و " جذا " وتشابه في المعنى واتفاق في الأحرف :فالجامع بين " جثا " و " جذا " هو اتفاق المعنى في معظم الأحرف ما عدا الثاء في " جثا " والذال في " جذا " وهما من الأصوات المتقاربة في المخرج.

4. الاشتقاق الكبار:

وهو المسمّى بالنحت، ومعناه في أصل اللغة (البري)، يقال نحت الخشب والعود إذا براه وهذب سطوحه، ومثله في الحجارة والجبال، أما في الاصطلاح أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها، ولما كان هذا النزع يشبه النحت من الخشب والحجارة سمي نحتا، وهو في الحقيقة من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقا وبالفعل لأن الاشتقاق -كما أوردنا سالفا -هو أن تنزع كلمة من كلمة، أما النحت فهو أن تنزع كلمة من كلمتين أو أكثر، وتسمى تلك المنزوعة منحوتة. مثل: هلّل، وهيلل اذا قال :لا إله إلا الله.
فالنحت إذا وكما مر سابقا وسيلة مثلى تتطور بها اللغة وتنمو، وقد اعتمده العرب قديما وحديثا بدافع إيجاد مختصرات لبعض الكلمات، وهو طريقة من طرائق توليد الألفاظ في اللغة كالاشتقاق.

اصل الاشتقاق:

بالرغم من اتفاق أغلب الباحثين واللغويين في تعريف الاشتقاق بأنه أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في المعنى واللفظ إلا أن مسألة الأصل في الاشتقاق ضلت موضوع جدال ونقاش بين البصريين والكوفيين، ولكل واحد منهما راي وحجة في ذلك.وهنا نطرح السؤال : لماذا اختلف العلماء في أصل المشتقات ؟ وما هي أهم الحجج المعتمدة في ذلك ؟

ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه، نحو :ضرب، ضربا و قام قياما واحتجوا على ذلك بجملة من الأدلة أهمها:

- إنمّا قلنا أن المصدر مشتق من الفعل لأن المصدر يصح لصحة الفعل، ويعتل لاعتلاله، ألا ترى أنك تقول ":قاوم قواما " فيصح المصدر لصحة الفعل، وتقول "قام قياما " فيعتل لاعتلاله، فلما صح لصحته، واعتل لاعتلاله دلّ على أنه فرع عليه.
- ومنهم من تمسك بأن قال :الدّليل على أن المصدر فرع على الفعل أن الفعل يعمل في المصدر، ألا ترى أنك تقول: ضربت ضربا فتنصب " ضربا " ب " ضربت" لأن رتبة العامل قبل رتبة المعمول، فوجب أن يكون المصدر فرعا على الفعل.
- ومنهم من تمسك بأن قال :الدليل على أنّ المصدر فرع على الفعل أن المصدر يذكر تأكيدا للفعل ولا شك أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد، فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع والذي يؤيد ذلك أن نجد أفعالا ولا مصادر لها ، وهي نعم وبئس وعسى وليس وفعل التعجب وحبذا، فلو لم يكن المصدر فرعا لا أصلا لما خلا عن هذه الأفعال لاستحالة وجود الفرع من غير أصل.

وأمّا البصريون فهم يرون أنّ الفعل مشتق من المصدر، وأن المصدر هو الأصل، واحتجّوا على ذلك بجملة من الأدلة أهمها:

- الدّليل على أن المصدر أصل للفعل أنّ المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين ,فكما انّ المطلق اصل للمقيد ,فكذالك المصدر اصل للفعل
- ومنهم من تمسك بان قال :الدليل على ان المصدر هو الاصل ان الفعل بصيغته يدل على شيئين الحدث والزمان المحصل , والمصدر يدل بصيغته على شيء واحد وهو الحدث ,وكما انّ الواحد اصل الاثنين فكذلك المصدر اصل الفعل.
- ومنهم من تمسك بأن قال :الدليل على أن المصدر هو الأصل أن المصدر اسم، والاسم يقوم بنفسه، ويستغني عن الفعل وأما الفعل فإنه لا يقوم بنفسه، ويفتقر إلى الاسم، وما يستغني بنفسه، ولا يفتقر إلى غيره أولى بأن يكون أصلا .
- ومنهم من قال بأن المصدر ليس مشتقا من الفعل فقولهم: أكرم إكراما بإثبات الهمزة، ولو كان مشتقا من الفعل لوجب أن تحذف منه الهمزة، كما حذفت من اسم الفاعل والمفعول، نحو مكرم، ومكرم ، فلمّا لم تحذف هاهنا، كما حذفت مما هو مشتق منه،دل على أنه ليس بمشتق منه.

ومن هنا نقول أنه من الصعب أن يظفر أحد بالدليل القاطع لترجيح أحد الرايين، ولم يبق أمامنا غير الآراء الموجودة في الكتب العربية التي تدل على أن الفعل هو مصدر اشتقاق أغلب الكلمات، ومجمل القول فإن الدارسين والباحثين في العصر الحديث يميلون إلى ما ذهب إليه الكوفيون.

بذلك يكاد يجمع أغلب الباحثين واللغويين قدامى ومحدثين شرقيين وغربيين في أن اللغة العربية من أقدم اللغات وأقواها أصالة وأوسعها تعبيرا عن المعاني المختلفة وهذا راجع لا محالة إلى طبيعة تكون هذه اللغة، فهي حاملة لعناصر نموها وحيويتها كالاشتقاق والقياس والقلب والإبدال والنحت والتعريب، والاشتقاق هو استجابة لحاجة المتكلمين والمستخدمين للغة فبواسطته يستطيع مستعمل اللغة أن يشتق ما يشاء من الألفاظ والصيغ الحديثة ليعبر عن دقائق الأمور، وأن يشتق للمخترعات الحديثة ما يساير ركب التطور والتقدم الحضاري، فلا يقف الإنسان عاجزا أمام مخترع جديد في إيجاد مسمى له، فالاشتقاق سعفه في العثور عن كل ما يبحث عنه فيأخذ منه ما بلائمه وفق أغراضه وطبيعة التفكير عنده مسايرا بذلك ركب التقدم العلمي والحضاري في المجالات كافة.